المحاضرة الثالثة : التعريف بالمشكلة العلمية وتحديدها وصياغتها

1. مفهوم المشكلة :

المشكلة ترجمة للكلمة الفرنسية broblème، وللكلمة نظائرها في مختلف اللغات، تترجم أحيانا إلى كلمة "مسألة" وهو اصطلاح شائع في لغة الرياضيات، وإلى كلمة قضية وهو مصطلح شائع في لغة السياسة والقانون، أما في لغة البحث الاجتماعي فإن اصطلاح " مشكلة" هو الذي يشيع استخدامه وتداوله بين الباحثين.

وفي تعريف بسيط لمشكلة البحث يقول " ليليان ريبل lilian Rippel أن المشكلة عبارة عن موضوع يحيط به غموض، وتعرف المشكلة أيضا ظاهرة تحتاج إلى تفسير، قضية موضع خلاف.

وتعرف المشكلة أيضا بأنها: "عبارة عن موقف أو قضية أو فكرة أو مفهوم يحتاج إلي البحث والدراسة العلمية للوقوف على مقدماتها وبناء العلاقات بين عناصرها، ونتائجها الحالية، وإعادة صياغتها من خلال نتائج الدراسة ووضعها في الإطار العلمي السليم".

2 .أهمية المشكلة:

من المفترض أن لا تنشأ فكرة بحث من فراغ حتى لا تنتهي أيضا إلى فراغ، فإن السمة الرئيسية التي أصبحت تميز البحوث العلمية الآن هي أن تكون هناك مشكلة محددة وهامة وفي حاجة ماسة إلى من يتصدى لها بالدراسة والتحليل من جوانبها المتعددة حتى نستطيع أن نجد لها نوع الحلول المناسبة للتغلب عليها. ومن هنا فلابد أن يبدأ البحث العلمي بإحساس من جانب الباحث بوجود مشكلة معينة في إطار المجالات العلمية التي تخصص فيها.

وفي الإطار العام للمشكلة التي يبدأ الباحث في الإحساس بها وإدراكها يمكنه أن يتطرق إلى تحديد المشكلة تحديد دقيقا وتفصيليا، وهذا يتوقف على مدى عمق الباحث في فهم هذه المشكلة وسعة اطلاعه العلمي ومدى خبرته العلمية ومدى إحاطته بما يكون قد سبق إجراؤه من بحوث مماثلة في الماضي على نفس هذه المشكلة أو على مشكلة مشابهة، مما يساعده على أن يستفيد من خبرات هذه التجارب في تحاشي أخطائها أو في استكمال نقائصها أو في إتمام عناصرها عند إجراء بحثه.

ويمكن عرض مفهوم المشكلة العلمية أو الموقف المشكل أو الظاهرة من خلال بعض الأمثلة التالية، التي نرى أهمية دراستها والوصول إلى نتائج بشأنها.

- حالات ندرة البيانات أو غياب المعلومات التي ترتبط ببداية أو نشأة العلوم في مراحلها المبكرة، مما يتطلب القيام بدراسات عديدة لوضع أسس الممارسة والتطبيق فيها وذلك مثل الدراسات التاريخية التي اتسمت بها الدراسات المبكرة في مجالات الصحافة حول ظهور هذه الصحف، وأسس قيامها، وتنظيمها وعلاقاتها، وأنماط الممارسة المهنية وغيرها من الموضوعات التي يمكن أن تميز فترات النشأة وبدايات التطور.

- وإذا كانت الحالات السابقة تمثل مشكلات غياب المعلومات فإن هناك حالات تستحق البحث والدراسة وتمثل مشكلة تقوم على ملاحظة الباحث لعدم اتفاق المقدمات بالنتائج مثل انتشار الصحف الحزبية والمستقلة مع تزايد العزوف عن قراءة الصحف أو انتشار قنوات تلفزيونية متعددة مع عزوف عن المشاهدة.
- أو دراسة ظاهرة انخفاض الصحف أو الصفحات الدينية على الرغم من ارتفاع الوعي الديني في المجتمع، وغيرها من الظاهرات أو المشكلات التي تعكس عدم الاتفاق بين الأسباب والنتائج.
- أو استخدام مستحدثات اتصالية جديدة لأول مرة، مثل انتشار الفضائيات، ويرتبط بذلك الكشف عن أنماط الاستخدام ومستوياته وعلاقاته، وتأثير استخدام هذه المستحدثات على المتلقين أو السياق الاجتماعي العام.
- وقد يرى الباحث انتشار نظريات أو تعميمات حديثة في مجتمعات أخرى، ولم يثبت بعد إمكانية تطبيقها على المجتمعات المحلية، فيرى الباحث دراستها في إطار المجتمع المحلي وسياقه الثقافي.

وغير ذلك العديد من الموضوعات التي تحتاج إلى البحث والدراسة العملية وتدخل في إطار مفهوم المشكلة أو الظاهرة التي يهدف الباحث إلى الكشف عنها.

3. شروط الإشكالية (خصائص المشكلة التي تصلح للبحث):

- أن تحدد المشكلة علاقة بين متغيرين أو أكثر: ففي مشكلة دراسة "**نشرات الأخبار في التلفزيون الجزائري والتنشئة السياسية للمراهقين**"، هناك متغيران أساسيان الأول: نشرات أخبار التليفزيون الجزائري، والثاني يتمثل في التنشئة السياسية للمراهقين، وتحاول الدراسة الكشف على العلاقة بين هذين المتغيرين.
- أن تكون المشكلة "تطبيقية "مرتبطة بالمجتمع وقضاياه فخدمة المجتمع هي الهدف الأسمى للبحث العلمي، وإذا لم يكن لبحث المشكلة مردود اجتماعي فهي لا تستحق الدراسة.
- أن يتأكد الباحث من أن مشكلة بحثه التي اختارها ليست غامضة أو عامة بدرجة كبيرة.
- أن تقع مشكلة البحث في ميدان الباحث.
- أن يختار الباحث مشكلة تتوافر مصادرها ومراجعها العلمية والبيانات الخاصة بها، ويراعي الزمن المحدد للبحث.
- أن تكون مشكلة البحث في حدود امكانيات الباحث الاقتصادية والسياسية والاجتماعية.
- أن تكون أسئلة الاشكالية تعبر عن إشكال.
- أن تكون كل أسئلة الإشكالية واضحة ودقيقة وقابلة للدراسة، سواء نظريا أو ميدانيا.
- أن لا توحي أسئلة الإشكالية بأجوبة مسبقة عن الإشكال لأنه لو حصل ذلك لانتهى البحث.

4. خطوات بناء إشكالية:

إن الإشكالية لا تبنى من عدم ولا تطرح في فراغ، فهناك خطوات ومراحل على أساسها يتم بناءها، ويمكن تلخيصها في 3 مراحل:

المرحلة الأولى: مراجعة أدبيات الدراسة: (جرد مختلف المقاربات النظرية التي لها علاقة بالإشكالية)

ويعني فحص معمق ومنظم وشامل لما نشر حول الموضوع، أي ينبغي على الباحث أن يكون على اطلاع قدر المستطاع على ما كتب وما أنجز فيها له علاقة بموضوع بحثه، وإلا فإنه قد يشرع في بحث سبق الخوض فيه من قبل باحثين آخرين، وتستخدم عملية مراجعة الأدبيات للتأكد من أصالة البحث، كما تسمح في نفس الوقت بربط الدراسة الحالية بالدراسات السابقة.

المرحلة الثانية: وضع الإشكالية في إطار مرجعي فكري نظري وتكييفه مع مشكلة البحث

في هذه المرحلة يتم تبني إشكالية سواء بتصور إشكالية جديدة أو بوضع عمل الباحث في إطار نظري تم اكتشافه من خلال القراءات السابقة، وباختصار يعني في هذه المرحلة عرض بصمة الباحث، وذلك بعرض إشكاليته وفق أسلوبه الخاص بتبني مدخل نظري معين في بحثه، فيجب على الباحث العلمي أن يستعمل نقطة استدلالية: النظرية عند تناول موضوع البحث.

فالمنظور النظري هو الضامن لاندماج البحث في المجموعة العلمية، هذه النقطة هامة لأن الباحث الذي أنجز بحثا قيما دون أن يضعه في إطار نظري مقبول من قبل المجموعة العلمية يرى مصداقية نتائج بحثه محل تساؤل، إذ تقوم النظرية في جزء منها بتبرير علمية البحث وتعطيه الشرعية في نموذج معترف به حسب عمل العلم الطبيعي.

وظائف الإطار النظري:

إن اختيار مدخل نظري مسألة في غاية الأهمية، من حيث أنه يحدد للباحث خط سير معين يلزمه ويصبح له موجها لبحثه، يعني أن يختار مفاهيم هذا المدخل الأساسية ومقولاته وأنساقه المعرفية وأطره التفسيرية إذن:

- الإطار النظري يسمح بإعادة صياغة سؤال الانطلاق باستعمال العبارات والمفاهيم الخاصة بالاقتراب النظري المختار.
- يخدم الباحث في صياغة الفرضيات التي على أساسها يقدم الباحث إجابات مرتبطة بسؤال الانطلاق.

ولعل الموجه الأساسي في اختيار الإطار النظري المناسب هو طبيعة سؤال الانطلاق والمعلومات المتوصل إليها من العمل الاستكشافي الميداني.

المرحلة الثالثة: تدقيق الإشكالية (صياغة الإشكالية):

ويعني عرض هدف البحث في شكل سؤال يتضمن إمكانية التقصي في الواقع بهدف إيجاد إجابة، وتتحدد أهمية سؤال الانطلاق في أنه يحدد للباحث مجال بحثه، ومن ثم نوعية البيانات والمعلومات التي يتطلب جمعها، وبالتالي يوفر عليه الجهد ويحفظه من مغبة الغرق في جمع كل ما هب ودب دون هدف معين أو وجهة محددة، وهذا السؤال لابد أن تلحقه أسئلة أخرى تشكل في مجموعها البناء القاعدي للبحث.

5. كيفية عرض الإشكالية:

أ. التعريف بالإشكالية:

وفيها يبدأ الباحث بتمهيد دون كتابته تحت عنوان تمهيد، ثم يعرف القارئ بالمشكل وخطورته.

ب. تحديد الإشكالية:

وفيه يذكر الباحث ويبرهن بأن للموضوع عدة جوانب تشترك في دراسته، وأنه يحدد فقط الجوانب التي يريد دراستها، ويسمى هذا التحديد بتحديد جوانب الدراسة، وهذا التحديد يجب وجوده في البحث كما أن هناك تحديدا ثانيا يجب أن يصحب جوانب الدراسة وهو تحديد المجال الزمني والبشري والجغرافي للدراسة.

ج. صياغة الإشكالية:

فبناءا على الجوانب –الأبعاد– التي حددها الباحث والمراد دراستها يقوم الباحث بطرح تساؤلات تمثل في محتواها الإشكال الذي أدى إلى وجود المشكل الذي هو بصدد دراسته.